

وليس ثمة مشاركة بين الجنسين: المذكر والمؤنث في هذه الاوصاف كالحيض والحمل والرضاعة، ولم تحتج هذه الاوصاف اليها لاستغنائها عنها.

أما البصريون فقد اختلفوا في العلة فقال الخليل (١١): إِنَّ حَائِضًا وَطَامِنًا وَحَامِلًا عَلَى مَعْنَى النَّسَبِ شَأْنُهَا شَأْنُ: لَابِنٍ وَتَامِرٍ. كَأَنَّهُ قِيلَ: ذَاتُ حَيْضٍ، وَذَاتُ طَمْتٍ، وَذَاتُ حَمَلٍ، وَلَيْسَ مَحْمُولًا عَلَى الْفِعْلِ، وَلَآنَ هَذِهِ الْمَشْتَقَاتُ مِنْ أَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ فَإِنَّ الْفِعْلَ يُؤْثَرُ مَعَهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَتَابَعَةِ، فَإِذَا وَضِعَتْ عَلَى النَّسَبِ لَمْ تَكُنْ جَارِيَةً عَلَى الْفِعْلِ، وَلَا مَتَّبِعَةً لَهُ، كَذَلِكَ لَمْ تَلْحَقْهَا عِلْمَةُ التَّأْنِيثِ، وَصَارَ قَوْلُهُمْ بِمَتَابَعَةِ مَنْ قَالَ: امْرَأَةٌ مِعْطَارٌ، وَمِذْكَارٌ، وَمِثْنَاتٌ، وَمِعْطِيرٌ، وَشُكُورٌ وَحِصَانٌ، وَرِزَانٌ، وَرَأْيٌ سَبِيوِيهِ (١٢) أَنَّهُ مَتَأَوَّلٌ بِانْسَانٍ أَوْ شَيْءٍ قَالَ: امْرَأَةٌ حَائِضٌ. أُوْرِدَ عَلَى تَأْوِيلِ: شَيْءٍ حَائِضٌ أَوْ انْسَانٍ حَائِضٌ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى، كَمَا قَالُوا عَنْ رُبْعَةٍ فَأَنْتَوْنَا الصِّفَةَ وَالْمَوْصُوفَ مَذْكَرٌ عَلَى مَعْنَى: (نَفْسٌ) رَجُلٌ رُبْعَةٌ، وَالْحَمَلُ عَلَى الْمَعْنَى كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ (١٣). وَرَدَ أَبُو بَكْرٍ الْإِنْبَارِيُّ (٣٤٨هـ) مِنَ الْكُوفِيِّينَ رَأْيَ الْخَلِيلِ وَمَنْ تَابَعَهُ (١٤) بِأَنَّهُ ((يَلْزَمُ قَائِلُهُ أَنْ يَقُولُوا: هُنْدٌ قَائِمٌ، وَحَمَلٌ امْرَأَةٌ جَالِسٌ عَلَى مَعْنَى هِيَ ذَاتُ قِيَامٍ وَجُلُوسٍ فَيَكُونُ فِي (قَائِمٌ) عِنْدَهُ وَجِهَانٌ كَمَا فِي حَائِضٌ وَجِهَانٌ إِذَا بَنِيَ عَلَى الْفِعْلِ قِيلَ: هَذِهِ امْرَأَةٌ قَائِمَةٌ كَمَا يُقَالُ امْرَأَةٌ حَائِضَةٌ وَإِذَا لَمْ يَبْنِ عَلَى الْفِعْلِ قِيلَ: هَذِهِ امْرَأَةٌ قَائِمٌ عَلَى مَعْنَى ذَاتُ قِيَامٍ كَمَا يُقَالُ: هَذِهِ امْرَأَةٌ حَائِضٌ عَلَى مَعْنَى هَذِهِ ذَاتُ حَيْضٍ، وَمَنْ أَجَازَ امْرَأَةً قَائِمَةً فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ)).

وَرَدَ الْفَرَّاءُ رَأْيَ سَبِيوِيهِ (١٥) بِالْقَوْلِ:

حَذَفَ آخِرَهَا بِمَدِّ النَّفْسِ بِمَا قَبْلَهَا مِنْ صَوْتِ لَيْنٍ قَصِيرٍ فَيَخِلُّ لِلسَّمْعِ أَنَّهَا تَنْتَهِي بِالْهَاءِ)) (٦). أَمَّا الْمُدَّةُ الزَّائِدَةُ فِي نَحْوِ: سِنَاءٌ وَحِمْرَاءٌ وَأَنْبِيَاءٌ فَلَيْسَتْ مَبْدَلَةً مِنَ الْآلِفِ كَمَا رَأَى الْبَصْرِيُّونَ. وَأَمَّا هِيَ عِلْمَةُ تَأْنِيثٍ، وَعَلَى ذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ الرَّجَاجِيُّ (ت ٢٢٢٧هـ) (٧).

وَسَمَّاها الْبَصْرِيُّونَ الْآلِفَ الْمَقْصُورَةَ وَالْهَمْزَةَ الَّتِي بَعْدَهَا /قَبْلَهَا مَدَّةٌ، وَهِيَ يَدُلُّ مِنَ الْآلِفِ الْمَقْصُورَةِ عِنْدَهُمْ.

وَمَذْهَبُ الْآخِضِ (٢١٥ ت هـ) إِدْبَالُ الْآلِفِ وَالْهَمْزَةَ مَعًا عِلْمَةُ التَّأْنِيثِ (٨). وَأَطْلَقَ الْبَصْرِيُّونَ الْآلِفَ الْمَقْصُورَةَ عَلَى الْيَاءِ الَّتِي رَاعَى فِيهَا الْكُوفِيُّونَ رِسْمَ الْخَطِّ، وَجَعَلُوهَا عِلْمَةَ تَأْنِيثٍ.

الوصف الخاص بالمؤنث

سَبِقَ الْقَوْلُ أَنَّ الْهَاءَ - كَمَا سَمَّاها الْكُوفِيُّونَ - أَوَّلُ الْهَاءِ كَمَا ارْتَضَى الْبَصْرِيُّونَ - عِلْمَةُ التَّأْنِيثِ الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤنثِ مَعَ الْعِلْمَاتِ الْآخَرَ. وَثَمَّةُ مَشْتَقَاتٌ تَدُلُّ عَلَى شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ، يَنَاسِبُ تَكْوِينُهَا وَمَا جُعِلَتْ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ بِالْأَمْرِ الطَّارِئِ الَّذِي يَزُولُ، كَالْحَمَلِ وَالْوِلَادَةِ وَالْإِرْضَاعِ وَالْحَيْضِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا اخْتَصَّتْ بِهِ فَتَقُولُ: امْرَأَةٌ حَامِلَةٌ، وَفَاطِمَةٌ مَرْضُوعٌ، وَفَلَانَةٌ حَائِضٌ أَوْ طَامِنٌ، وَهَذِهِ امْرَأَةٌ طَالِقٌ. وَنَفْتَقِدُ الْهَاءَ أَوَّلُ الْهَاءِ بَوْصَفِهَا عِلْمَةَ تَأْنِيثٍ ثُمَّ نَجِدُ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مَرْضُوعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)) (٩). فَتَقَالُ مَرْضُوعَةٌ فِي جَلِيَّةِ الْأَمْرِ. وَعَلَى الْكُوفِيِّينَ قَوْلُ الْعَرَبِ: حَائِضٌ وَمَرْضُوعٌ وَحَامِلٌ (١٠) إِلَى أَنَّ عِلْمَةَ التَّأْنِيثِ إِنَّمَا حَذَفَتْ فِي أَمْثَالِهَا لِإِخْتِصَاصِ الْمُؤنثِ بِهِ، وَأَصْلُ هَذِهِ الْعِلْمَةُ أَنَّ تُجْتَلَبُ لِلْفِعْلِ بَيْنَ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤنثِ،

ثُمَّ نَشَأَتْ مِنْ هَذَا عِلْمَاتُ التَّأْنِيثِ الْمَعْرُوفَةُ:

علامات التأنيث عند الكوفيين والبصريين: -

عِلْمَاتُ التَّأْنِيثِ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ثَلَاثٌ: الْهَاءُ الَّتِي تَكُونُ فَرْقًا بَيْنَ الْمُؤنثِ وَالْمَذْكَرِ فِي نَحْوِ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ، وَقَائِمٌ وَقَائِمَةٌ. وَالْمُدَّةُ الزَّائِدَةُ فِي نَحْوِ: الْحِمْرَاءُ وَالصَّفْرَاءُ وَمَا أَشْبَهَ الْيَاءِ فِي نَحْوِ: حَبْلِي وَصَفْرِي وَسَكْرِي.

تلك علامات التأنيث كما أوردتها الفراء (١) وغيره (٢). أما الهاء فهي التاء عند البصريين، وهي الأصل عندهم.

قال سيبويه (٣): ((وَأَمَّا الْهَاءُ فَتَكُونُ بَدَلًا مِنَ التَّاءِ الَّتِي يُؤْثَرُ بِهَا الْأِسْمُ فِي الْوَقْفِ كَقَوْلِكَ: هَذَا طَالِحَةٌ)).

وقال المبرد (٤): ((أَمَّا الْهَاءُ فَتَبْدِلُ مِنَ التَّاءِ الْدَاخِلَةَ لِلتَّأْنِيثِ فِي نَحْوِ: نَخْلَةٌ وَثَمْرَةٌ، أَمَّا الْأَصْلُ التَّاءُ وَالْهَاءُ مِمَّا فِي الْوَقْفِ)).

وقد راعى الكوفيون حين أطلقوا الهاء على التاء رسم الخط لظنهم: أن ما بدا وكأنه الهاء في الوقف هو الأصل، وليس الأمر كذلك إذ ((لا توجد علاقة صوتية بين التاء والهاء، وإنما تطور المسألة أن التاء سقطت من الوقف على المؤنث فيبقى المقطع السابق عليها مفتوحاً ذا حركة قصيرة.

هذا النوع من المقاطع تكرهه العربية في أواخر الكلمات فتجنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت)) (٥).

وليس الوقف على أمثال: فاطمة والشجرة بالهاء كما ظن الكوفيون ((بل

((يلزمه ان يقول: الحائض يحيض على معنى: الشخص يحيض، وقال: لم نجد لهذا القول مذهباً)). وينقض رأي الكوفيين في الصفات الثابتة قول العرب: الضامر ويطلق على الناقة والجمل، والعاشق للمرأة والرجل(١٦). اما الصفات الحادثة التي تطرأ وليس فيها معنى الحدث من نحو فاطمة، مرضعة الان أو غداً وفلانة حائضة اليوم، وكتوله تعالى: الذي اوردها من قبل: ((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)) فلا بد من الاتيان بالتاء إذا قصد حالة الارضاع الطارئة. ولوقيل: مرضع فلإشارة الى انه من غرائزها الثابتة الارضاع ولا خلاف بين الكوفيين والبصريين في ذلك(١٧).

وهذا يفسر لنا إجازة الكوفيين جمع مذكر سالماً لـ نحو عَنَسَ مما اشترك فيه المذكر والمؤنث(١٨) محتجين بقول ابي قيس بن رفاعة:

مَنْ الَّذِي هُوَ إِنْ طَرَّ شَارِبُهُ

والعانسون ومنا المرء والشيب.

ولعل من المفيد ان نشير الى قرار مجمع اللغة العربية في مصر بإجازة ما جاء على فاعل، وان لم يقصد الحدوث، كما أجاز ان تلتحق التاء فعياً بمعنى مفعول (سواء ذكر معه الموصوف ام لم يذكر(١٩). والنحاة والصرفيون لا يجوزونه قال الكسائي(٢٠): ((ويقال هذه امرأة جميل، وجارية حسيب، وليلة مطير.... وكذلك كل ما كان على فعيل (وعندي المرأة)) أي: جنس الانثى، ووضَّح ذلك ابن السكيت أيضاً فقال: ((وإذا كان فعيل نعتاً لمؤنث، وهو في تأويل مفعول، كان بغير هاء - فإذا لم تذكر المرأة قلت: مررت بقتيله)) (٢١).

ثمة مسائل في التذكير والتأنيث ستقف عند طائفة منها:

١- السلطان: السلطان في اللغة الحجة والبرهان، والوالي، ورأي الفراء انه يؤنث ويذكر، والتأنيث عند الفصحاء أكثر(٢٢). والعرب تقول: قضى به عليك السلطان، وقد أخذتُ فلاناً السلطان. وعلى ذلك ابن السكيت (٢٢٤هـ) (٢٢).

اما البصريون فالتذكير عندهم أوضح، وبه تنزل القران في قوله تعالى: ((أم أنزلنا عليهم سلطاناً)) (٢٤) والتأنيث جائز عندهم لأنه بمعنى الحجة.

١- والسلطان جمع عند المبرِّد (٢٨٥هـ) (٢٥) مفرده سليلط قاسه على رغيث ورغفان، وتذكيره على معنى الجمع، وتأنيثه على معنى الجماعة. ولعل من المفيد ان تذكر ان أصل السلطان ارامي وهي ChouL+MLO (٢٦)

٢- السكّين: يذكر السكّين ويؤنث عند الكسائي والفراء، وعند الفراء التذكير قليل وانشد الفراء على التأنيث:

نعيش على السنام غداة فم

بسكين مؤنثة النَّصَابِ

التاء في أخت وبنث

نسب الى الكوفيين(٢٧) عدّهم التاء في أخت وبنث علامة للتأنيث ولم اتصل به في كتبهم وهي عند البصريين ومن تابعهم(٢٨) ليست للتأنيث لسكون ما قبلها، والتاء الزائدة للتأنيث هي التي تلزم ما قبلها الفتحة ويوقف عليها بالهاء من نحو: دجاجةٌ وقلامه وما اشبه. واكد

سبويه- في غير موضع- من الكتاب ان التاء في أخت وبنث للتأنيث من نحو قوله: ((وأما بنت فإنك تقول: بنوي من قبل ان هذه التاء التي هي للتأنيث لا تثبت في الجمع بالتاء)).

وقوله: ((كذلك تاء أخت وبنث وفتتين، وكلتا لأنهن لحقن للتأنيث وبنين بتاء لا زيادة فيه من الثلاثة إلا انه لم يعدّها للتأنيث في باب (ما ينصرف في المذكر مما ليس في اخره حرف التأنيث(٢٠). لان منزلتها عنده منزلة سنبتة(٢١) وعفريت، والتاء الأولى مزيدة للإحاق بسهولة وما اشبه، فإذا سمينا بواحدة منها رجلاً صرفناه لأنه بمنزلة مؤنث على ثلاثة أحرف ليس فيها علامة تأنيث، ولو كانت التاء فيه تائها للتأنيث لما انصرفا. ولا إنكار ان في أخت وبنث دلالة تأنيث جاءت من الصيغة(٢٢). ومن دلالتهما الاجتماعية عند الناس، ولعل هذين الامرين دعيا الكوفيين الى القول: إن التاء فيهما زائدة مجتلية للتأنيث.

تأنيث العدد وتذكيره: تقول في العدد بين الثلاثة الى العشرة: في الدار ثلاثة رجال، وقرأت خمسة كتب، وفي التنزيل ((سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية ايام حسوما)) (٢٣) فدخلت التاء في العدد لما كان معدوده المفرد مذكراً، ولم تدخل تلك التاء لما كان معدوده المفرد مؤنثاً، فلم تدخلت هذه التاء ولم حذف ٩٩.

١. ورأي الفراء(٢٤) لان العدد مبني على الجمع كما قيل في صبي ورغيف وحجر: صبية وارغفة وحجارة اثبتوها في عدده، ولما كانوا لا يدخلون التاء في عدد المؤنث فيقولون: ركة ورُكْب، وقردة وقرْد لم يدخلوها في عدد

فعل بمعنى مفعول فنحو: كَفَّ خَضِيبٌ
وعينٌ كحيلٌ

أنواع ألف التأنيث

اما الالف التي للتأنيث فهي على
ضريين ألف مفردة، وألف تلحق قبلها ألف
المد فتقلب الاخرة منها همزة: ما تلحقه
الالف المفردة.

الختامة

تعد المدرسة البصرية هي السابقة
في الدراسات النحوية، كما لا ينسى
الاسهام الكوفي الذي ادى الى نضج الدرس
النحوي واكتماله وذلك من خلال اكمال
الجهد البصري باتباع المنهج التوسعي في
السماع والقياس الذي عد اقرب الى المنهج
الوضعي الحديث في الدراسات اللغوية
وهذا بدوره ادى الى وجود الخلاف بين
المدرستين. بالاضافة الى التنافس العلمي
نتيجة مواقف الخلفاء العباسيين وميلهم
الى الكوفيين.

ورد ابن عصفور (٦٦٩هـ) ناقلاً رأي ثعلب
المذكور انفاً قوله، وخلص الى ان التاء
دخلت في المذكر من هذا الجنس للإفادة
انه الغاية في المدح والذم.

ولا يخرج هذا برأبي عن رأي ابي
بكر الانباري المتقدم ما يستوي فيه المذكر
والمؤنث من الصفات قال ابن يعيش:
(فعل-مفعول-مفعيل-مفعيل) بمعنى
فاعل) اعلم ان هذه الأمثلة من الصفات
يستوي في سقوط التاء منها المذكر والمؤنث
فيقال: رَجُلٌ صبور وشكور وامرأةٌ صبورٌ
وشكور.... وامرأة معطار.... ومذكار.

وقالوا منطبق... ومقطير للمطار...
وقالوا: امرأة جريح وقتيل. فهذه الأسماء
إذا جرت على موصوفها لم يأتوا فيها
بالتاء. وإذا لم يذكروا الموصوف اثبتوا
التاء. خوف اللبس من نحو: رأيت صبورة
ومعطاره، ومثله: بني فلان. ويرى ابن
يعيش: ان فعول ومفعال ومفعيل فأمثلة
معدولة عن اسم الفاعل للمبالغة ولم تجر
على الفعل فجرت مجرى المنسوبات وأما

المؤنث، لان العدد مبني على الجمع،
وايد هذا الرأي أبو بكر الانباري.
٢. وكان الكسائي (٢٥) يقول: إذا جمعت
بين المذكر والمؤنث ذكرت العدد إذا
كان المذكر هو السابق وانتهه إذا كان
المؤنث هو السابق، وشبهه بقولهم:
قام زيدٌ وهندٌ، وقامت هندٌ وزيدٌ،
لذلك أجاز الكسائي كما حكى ثعلب
عنه: عندي ست نسوة ورجال، وسبع
نسوة ورجال الى التسع والعشر، ولم
يجز فيما دون الست وكان يحيل:
عندي خمسة نسوة ورجال، وكذلك
في الأربع والثلاث، ونقيضه القياس
ان لا تضاف هذه التاء فلم دخلت؟
وما الفائدة منها؟ قال أبو بكر
الانباري (٣٢٨هـ) (٣٦): ((وانما
فصلوا هذا لأنهم يدخلون الهاء في
المذكر على جهة المدح أو الذم)).
ونسب الى ثعلب (٢٩١هـ) انهم أرادوا
به في صفات المدح: داهية وفي صفات الذم
بهيمة مؤنثتين لذلك دخلت التاء فيه (٣٧).

المصادر والمراجع

١. المذكر والمؤنث للفرّاء: ٥٧.
٢. المذكر والمؤنث: الفضل بن سلمة ٤٢، والمذكر والمؤنث لابي بكر الانباري.
٣. الكتاب: ٢٢٨/٤.
٤. المقتضب ٦٣/١ وانظر المنصف ١٦١/١ وشرح المنصف ٨٩/٥ وشرح الشافيه ٨٠١/٢، اختلاف البصرة م/١٢٩، وشرح الكافيه ١٦١/٢ وشرح
الفصح لابن هشام والاشباه والنظائر ٤٦/١.
٥. د. رمضان عبد التواب مقدمة كتاب الباء ٤٣.
٦. د. انيس: في اللهجات العربية ١٢٤.
٧. ارتشاف الضرب ٢٩٣/١ وانظر الجمل ٢٨٧.
٨. ارتشاف الضرب ٢٩٣/١.
٩. سورة الحج ٢/٢٢.
١٠. الانصاف م/١١١، وشرح المنصف ١٠٠/٥.
١١. الكتاب ٢٨١/٣.

١٢. الكتاب ٢/٢٨٣.
١٣. انظر على سبيل التمثيل: الخصائص ٢/٤١١-٤٣٨.
١٤. المذكر والمؤنث لابي بكر الانباري ١٥٢.
١٥. نفسه ١٤٩.
١٦. شرح المفصل ٥/١٠٠.
١٧. معاني القرآن للقرّاء: ٢/٢١٤ والمذكر والمؤنث لابي بكر الانباري: ٥١٦، واعراب القرآن للنحاس ٢/٣٨٨.
١٨. ارتشاف الضرب ١/٢٦٦ وال ١/٤٥.
١٩. في أصول اللغة ١/١٠٦.
٢٠. ما تلحن فيه العامة ١٢٢.
٢١. اصلاح المنطق: ٣٤٢ وانظر المذكر والمؤنث للقرّاء: ٦٠.
٢٢. المذكر والمؤنث للقرّاء: ٥٦ والمذكر والمؤنث لابي بكر الانباري: ٣٠٩.
٢٣. اصلاح المنطق ٣٦٢، وانظر مختصر المذكر والمؤنث ٥٦ ولسان العرب ٧/٣٢١، واعراب القرآن للنحاس ٢/٥٩٠.
٢٤. سورة الروم ٣٠/٣٥.
٢٥. المذكر والمؤنث للمبرد ١١٣.
٢٦. فرائد اللغة العربية لنخلة اليسوعي ص: ١٨٨ (بيروت ١٩٦٠).
٢٧. ارتشاف الضرب ١/٢٩٣.
٢٨. الكتاب ٣/٢٢١، وسر ضاعه الإعراب ١/١٤٩ وما بعدها والخصائص ١/٢٠١ وما بعدها، شرح المفصل ٦/٥.
٢٩. الكتاب ٣/٣٦٢ و٤/٢١٧.
٣٠. الكتاب ٣/٢٢١، وانظر السيرا في في هامشه.
٣١. السنبتة: القطعة من الدهر كالمدة.
٣٢. الخصائص ١/٢٢.
٣٣. سورة الجاثية ٦٩/٧.
٣٤. المذكر والمؤنث للقرّاء ١٢١ وما بعدها، والمذكر والمؤنث لابي بكر الانباري ٦٢٤-٦٤٩. وانظر ائتلاف البصرة ٢/٩٠.
٣٥. المذكر والمؤنث لابي بكر: ٦٣٤.
٣٦. المذكر والمؤنث لابي بكر: ٥٢٧.
٣٧. شرح الجمل ٢/٢٧١.
٣٨. شرح المفصل لابن يعيش من صفحة ٨٨-١١٣.